العدد(1416) السنة السادسة -الاربعاء (21) كانون الثاني 2009 ◆ http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com

استطلاع ثقافي

سوق الكتاب في كركوك.. ثقافات ترسم وجه المدينة

ضياء الخالدي

سوق الكتاب في كركوك يختلف عن باقي الاسواق في المحافظات العراقية الاخرى .. هنا الكتاب المطبوع باللغة العربية يجد له منافسا هو الكتاب المطبوع باللغة الكردية ، والمكتبات في المدينة تحرص على الجمع بينهما لارضاء زبائنها ، مما يمكن القول ان كركوك هي اكثر المدن العراقية بتنوع العناوين للكتب الموضوعة والمترجمة عن اللغات الاوروبية . اضافة الى الكتب التي تتناول الموروث الشعبي للقوميات الموجودة في المحافظة .

توجه القراءات تختلف بين قومية واخرى ، كما يقول السيد ابو داور صاحب مكتبة القراء ، فالكرد يفضلون الكتب التاريخية والمكتوبة بلغتهم او اللغة العربية ، ليس هناك فرق . اما العرب والتركمان فقراءاتهم غالبا ما تكون دينية. بالتأكيد هذا ليس قاعدة ، ولكنه يخضع للنسب ومبيعاته الخاصة . يبدو ان القراء الكرد هم المستفيدون اكثر من غيرهم لانهم يعرفون العربية ، ويقرأون الكتب باللغتين عكس العرب والتركمان الذين يقرأون بالعربية فقط.

يمكن تسمية شارع المكتبات وخلف المحاكم بشارع المتنبي في بغداد ، نظرا لكثرة بائعي الكتب ، وهناك كتب معروضة على الرصيف واسعارها متدنية ، وغالبا ما ترصف بعناية على الارض وتكون بسعر موحد ، وهناك ايضا اكوام لا يتجاوز سعر الكتاب فيها عن ٢٥٠ دينارا .. سامي بائع الكتب على الرصيف يكشف عن مصدر الكتب الكردية ويقول انه يجلبها من مكتبات السليمانية بالجملة ، اما العربية فهي متوفرة بكثرة ويشتريها من افراد يبيعون مكتباتهم المنزلية ، ولا يفضل سامي العمل بالكتب الباهظة الثمن لانها تحتاج الى رأس مال كبير . اضافة الى بطء بيعها ..

يصدر اتحاد ادباء كركوك سلسلة مطبوعات ادبية اسمها « ابداع كركوك » ولكن لا يمكن اعتبارها مؤثرة في سوق الكتاب في المدينة ، لانها تطبع بنسخ محدودة واخراجها الفني البسيط يشير الى ضآلة الدعم المالي . فهي على نفقة المؤلف ، وتعد امتدادا لما سمى ادب الاستنساخ في الادب العراقي سنوات التسعينيات . تطبع مئة نسخة فقط وتوزع شخصيا من قبل الكاتب الى زملائه المثقفين ومحرري الصحف الثقافية . يرى المسرحي محمد خضر رئيس اتحاد ادباء كركوك بانها مشكلة مزمنة للكتاب في المحافظة . . لا توجد دور نشر يمكن الاعتماد عليها بافساح المجال للابداع الكركوكلي . مثلا دار الشؤون الثقافية العامة وهي حكومية تابعة لوزارة الثقافة لم تنشر لمثقفي كركوك منذ عام ٢٠٠٣ وحتى الان غير اسمين فقط ، ولا اعرف سبب الصد منها.

سهيلة شفيق مديرة النشر في دار الشؤون الثقافية العامة تؤكد ان الدار لا تقف بوجه أي مثقف ، وان الكتب التي تصدرها الدار تأتي عبر ما يصلها من مخطوطات المبدعين العراقيين من دون ان نعلم ان كاتبها يعود الى أي محافظة .. هناك آلية للنشر معروفة للجميع تتلخص من الاولوية الزمنية للمخطوطات وتمر بالخبراء الذين يجيزون العمل الى صدور الكتاب .

الكتاب الصادر من دار الشؤون الثقافية بات حاضرا في سوق الكتاب بالمدينة ، بعد ان تم افتتاح معرض الكتاب الدائم وسط كركوك ، واصبح المعرض ممولا بالجملة للكثير من المكتبات ، نظرا لرخص اسعار كتبها التي يصل الخصم فيها الى ٥٠ ٪ . يتحدث ابو كاظم صاحب مكتبة الكوثر ان اسعارها مناسبة وجيدة لكن هناك سلبية اراها ملازمة لكل الاصدارات من دور النشر الحكومية ، وهي ، عدم الاعتناء باختيار الموضوعات للطبع ، فهناك الكثير من اهتمامات القراء لا نجدها ، والدار بعيدة عما يريده السوق ، واغلب اصداراتها ادبية ثقافية ..

اصدارات المدى كانت حاضرة ايضا ولكن بنسبة اقل ، ويرجع ذلك كما تحدث اكثر من قارئ ومثقف الى ارتفاع اسعارها ، مما تجبر المكتبات على اقتناء نسخة او نسختين من العنوان الواحد، وللحقيقة والامانة التاريخية حسب تعبير احد القراء ، لم نسمع احدا يعترض على نوعية ما يطبع فيها ، فهي بالصدارة من حيث حاجة السوق والمثقف ، لانها تركز على الاسماء الفاعلة والكبيرة .

الكتب التجارية المطبوعة في سوريا وذات الاغلفة الفاخرة هي الاكثر مبيعا نظرا لما توفره من موضوعات تخص المراهقين والشباب . كتب رسائل الجوال والنكات ورسائل العشق وموسوعات الاخبار الغريبة والعجيبة ، اضافة الى كتب تعلم الحاسبة الالكترونية والابراج وفن الطبخ للاعمار الاكبر سنا ، ولكن وجدنا انها دائما ما تكون مختصرة ومعلوماتها تتجزء على اكثر من جزء وهذه يأتي من طبيعتها التجارية ، وليس لاغناء القارئ بقصدية ثقافية. وجدنا ان بعض المكتبات قد خصصت رفوفا للكتب الالكترونية المطبوعة على الاقراص الليزرية والرقمية ، ويضم كل قرص عشرات العناوين اغلبها من الكتب المفقودة في السوق او الغالية الثمن ، وهناك مجلات ترفيهية يضمها القرص الواحد ، تبدأ من اخبار الفنانين مرورا بقضايا المجتمع الى الرياضة والابراج والطب وقضايا تخص المرأة ..

في كركوك مكتبات مختصة بكل قومية ، مثل مكتبة غمكين التركمانية وكركوك الكردية ، وهنا يستطيع أي باحث يود الغوص بقوميته ان يتوجه الى هذه المكتبات ليجد ما ينفعه .

يمكن القول ان كركوك تزدهر بنوعية العناوين وكثرتها نظرا لوجود لغتين متداولتين بكثرة في طباعة الكتاب ، العربية والكردية ، اضافة الى الموروث التركماني وموضوعاته الغنية في رفد الثقافة الكركوكلية ، وهذا يحسب بالتاكيد للمدينة.

وداعاً .. حسين علي محفوظ

باسم عبد الحميد حمودي

كان مفتاح العلاقة بينه وبيني كتابه (المتنبي وسعدي) الذي اصدره في السبعينيات من القرن الماضي ويعد فتحا في الدراسات المقارنة ، وقد تعمقت علاقتي بالعلامة حسين علي محفوظ في لقاءات منتدى الخاقاني الثقافي بالكاظمية وبيت الشعر باف في الكرادة الشرقية وكان لقاؤنا المنتظم كل خميس قد استقر في ملتقى الرواد بالقصر الابيض وهو لقاء ممتع يجمع محفوظ بغيره من رواد الفكر امثال د. حسام الالوسي وحميد الهيتي وعبد الحميد العلوجي ود. كمال السامرائي ود. حسين امين ود. محمد طارق الكاتب ومحمد مبارك وسواهم.

وكان حسين علي محفوظ مكتبة تراثية متنقلة وله في كل ميدان حصة، في الانساب وفي الاوقات والمواقيت وفي التاريخ وفي البلدانيات وفي اللغات القديمة وفي البغداديات باجملها وفي غير ذلك كثير ويوم اقدمنا على صياغة ندوة عن الصناعات الشعبية العراقية في ملتقى بغداد للتراث الشعبي لم يستطع العلامة محفوظ اكمال بحثه قبل موعد الندوة ولكنه رفد المجلة ببحث طريف وموسع عن كناسة الدكان او ما تملكه دكاكين الباعة من اباريز وافاويه ومعالجات شعبية واذ أقعد الدكتور محفوظ المرض قبيل وفاته فقد كان السؤال عنه دائماً وان كان على بعد وكنا نأمل ان يتعافى ويتوهج من جديد لكنه القضاء الذي لا مفر منه وقد غاب حسين علي محفوظ الباحث المحقق جسداً لكن اثاره النفيسة في التراث وعلوم البلدانيات والمواقيت والفولكلور تظل مراجع نفيسة لمن يريد ويحتاج .

كان محفوظ عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية في دمشق وعضواً في مجمع اللغة بالقاهرة وعضوا في مجمع اللغة في الهند لكن القائمين على امر المجمع العلمي العراقي على مر السنوات لم يختاروه ولا اختاروا العلامة علي جواد الطاهر ولا العلامة طه باقر اعضاء فيه وهم من هم من علم ومعرفة فبأمثالهم تحتفي المؤسسات الثقافية وتزيد من قيمتها.

اشرف الدكتور حسين علي محفوظ على مئات الرسائل الجامعية وكان استاذاً موجهاً ومفيداً وودوداً مع طلبته ، ذلك انه من ذلك النوع من البشر الذين يوصفون بالشجرة الوارفة الكثيرة الثمر التي تنحني لمثقلها ولاتنتصب كقصبة فارغة ، هاهو ابو علي يرحل فالعزاء كل العزاء لاسرته الكريمة وفي مقدمتها شقيقه الباحث ناجي محفوظ واسرته الاكبر المؤلفة من اصدقائه وتلامذته وقراء علمه.

الشعراء يعودون إلى الخراب

عبد الخالق كيطان

كم كنت أتمنى زيارة لبنان! ذلك الحلم الذي يراود الشعراء الشبان وهم يتلمسون خطواتهم الأولى في ذلك العالم الرحب والقاسي ، والذي مهره مبدعون كبار بنزيف قلوبهم الدائم!، كنت أتوق إلى البلاد التي قرأنا عنها : مجلة شعر ويوسف الخال وأدونيس وأنسي الحاج وعباس بيضون .. ولكن حلم العراقي لا يشبه حلم غيره ..كنت ولدت بعد أيام من ثورة صدام حسين وجماعته ، وفي تلك الأيام صار السفر فجأة ممنوعاً ! ، أنهيت الإعدادية ثم الجامعة وأنا أحلم بالسفر ، ولكن السفر جاءني بطريقة ثانية ، غير مألوفة للكثير ممن هم في عمري من الجنسيات غير العراقية ، إنه سفر المنفى! ، هكذا عبرت الحدود العراقية راكباً سيارة، أي سفر هذا يا ألهي ؟ ولكن السفر الحقيقي جاء عندما ركبت طائرة للمرة الأولى في حياتي ، حدث ذلك عندما صار عمري أكثر من ثلاثين عاماً يا للحلم وقساوته ، ومع ذلك ، فسفري بالطائرة أو بالسيارة من قبله لم يكن محكوماً البتة باختياري ، بل باختيار غيري ، وفي الحالين ظلت الأماكن العزيزة على ذاكرتي صعبة المنال ، ومنها بالطبع لبنان ..

ولكن ما مناسبة هذا الحديث اليوم ؟

في ملحق النهار كتب الشاعر عقل العويط ذات يوم مقالاً افادني كثيراً ، أفادني بالرغم من أنه كان عن لبنان الحلم ، فوجدت الذاكرة تنحرف لتصل إلى بغداد !

كتب عقل العويط تحت عنوان : الشعراء سيعودون في أحد الأيام يقول :

« تقوم القيامة في فرنسا، اليوم، لأن بعضهم يحاول أن يستدرج الآداب والفنون جميعها الى الفخّ الاستهلاكي، التسويقي، السلعي، الترويجي، عاملا على «ترويض» الثقافة بجعلها رهينة لمشاريع الربح والاستثمار المالي.» وهنا تعود ذاكرة الشاعر ، كاتب المقال إلى بلاده ، فيواصل: « لا أحد في فرنسا يستطيع أن يشوّه الطبيعة أو أن يهدّد الانسجام العمراني والتناغم بين هندسة البيئة وهندسة الجمال. وكلما حاول بعضهم أن يفعل ذلك، وجد «ضميرا» عاما أو فرديا يردعه ويردّه على اعقابه. وهذا يحصل ليس في العاصمة الفرنسية فحسب بل حتى في الاماكن النائية. ويستهويني أن أتذكر الآن تلك السيدة الفرنسية التي تملكها الغضب الشديد حين، في نحو منتصف الليل، شاهدتْ على أحد الجدران زجاجة فارغة وكيساً فيه بعض النفايات. كانت تلك السيدة السبعينية وحيدة، ولم يكن من شاهد عليها سوانا نحن الغريبين، وهي تحمل تلك النفايات لترميها حيث يجب أن تُرمى. لا أحد في فرنسا يستطيع أن يهين الفرد أو يجرح كرامته أو ينتقص من حريته. الفرد مقدّس شأنه شأن أي جوهر. لا الطائفة ولا الجماعة ولا الدولة نفسها في إمكانها أن تتطاول عليه. لا أحد ولا قانون يعلو على قداسة الانسان. والامثلة الفرنسية لا تُحصى في هذا الباب. وهي صنو الهواء والحواس الخمس والحاسة السادسة أيضاً.

أما في لبنان فلا كرامة لشيء أو لأحد. ولا كرامة، بالطبع، للشعراء أو للثقافة.»

هنا بالضبط توقفت ، تركت حلم لبنان يغوص في ذاكرتي ، فلست مخولاً بالحديث عن حلمي ، ولكنني مخول تماماً بالحديث عما أعرف وما أعرفه عن البلدان لا يتجاوز بلدي العراق والأردن حيث أقمت بعد فراري من العراق ثم أستراليا حيث أقيم منذ نحو العامين.

حديث العويط عن فرنسا كنت أعيشه كل يوم في أستراليا ، وفي كل لحظة أعيشها تندلق أمامي عشرات الصور عن بلادي ، أتحسر بحرقة ، كتبت ذات الجملة التي كتبها جون أوزبورن وصارت من أهم مسرحيات العصر : أنظر إلى الوراء بغضب ... لا شيء سائب في هذه البلاد التي قذفتنا فيها الأمم المتحدة ، فيما كل شيء سائب في بلادنا .. روى لي أحد العراقيين هنا حادثة ذات مغزى ، قال : أراد أحد التجار إقامة كافتيريا حديثة على قمة أحد الجبال التي تشرف على مدينة أديلايد عاصمة ولاية جنوب أستراليا ، وبعد أن شرع في العمل نصحه المهندسون بإزالة أربعة أشجار كانت تعيق المنظر ، رفع التاجر أوراقه إلى كل من يهمه الأمر في أستراليا ولم يكن نصيب طلبه إلا الرفض ، الصحافة والتلفزيون ، الحكومة ومنظماتها ، وكذلك المنظمات غير الحكومية ، تظاهرات هنا وهناك ويافطات معلقة في الشوارع ... ضجت الدنيا من حوله ولم يسمع غير صوت واحد : موافقتنا على إزالة شجرة معناه موافقتنا على إزالة ما لا يعد من الأشجار .. رضخ التاجر للحكومة والناس وأقام مقهاه وراء الشجيرات الأربع .... القصة ذات مغزى لمن يعرف أستراليا والتي لا تضاهيها أي بقعة بكثافة الشجر ومن كل الأنواع ...

اتخيل هذه الحادثة وقد جرت فصولها في بلادي!

عمري كله لم يكن فيه دجلة ذلك الرفيق الذي كنت أريده عقود طويلة ودجلة ممنوع علينا ، حتى في العمارة ، مدينتي الصغيرة التي تقع جنوب العراق ، شيدوا على ضفاف النهر بيتا لمحافظ المدينة وآخر لضباط المخابرات ومجموعة بيوت للرفاق الكبار في حزب البعث ، ولم ينسوا بالطبع تشييد أبنية أخرى بمثابة مضافات للسيد الرئيس عندما يحل ضيفاً على المدينة (أيام الحرب مع إيران لأنه كف عن ذلك منذ انتفاضة العام ١٩٩١) مثل : دائرة المخابرات واتحاد النساء وغيرهما! وبالرغم من ذلك كان رهط المادحين يفوق التصور ، أنهم يمدحون خراب البلاد ولا شك.

تتكاثر النفايات في الشوارع حتى تصير تلالاً تزكم الأنوف ، السيارات تسير بأقصى سرعتها في شوارع فرعية صغيرة ، لا حدائق يلهو بها الأطفال والعجائز ، أما قصة الأشجار فأغرب القصص ، حيث جاء يوم على الأشجار وقد صارت محل شك القيادة فقامت بتقطيع أوصالها في البصرة والحلة وبغداد ، كانت الحجة أن الأشجار تحمي ظهور (الغوغاء) ويقصدون مقاومي النظام السابق.

هل يعود الشعراء حقا إلى الحياة ؟ هل يخرجون من ثياب الردح للملك ونائبه ؟ من يطعم صغار الشعراء إذا ما كف الأباء عن المديح والتخاذل ؟ كيف يعيش الشاعر إذا ما خان السيد الرئيس ورفض هديته التي لم تكن غير مسدس ؟ من يستمع للشاعر وهو يهذر عن الجمال والحرية ؟ أي لحم يطعم ابن الرئيس نموره الجائعة إن لم يكن لحم الشاعر الحالم ، والحالم فقط ؟ الشعراء لا يعودون إلا للخراب ، هكذا تعلمت ، وكان علامي فيه الكثير من الخطل ، ولكنني تعلمت ويا للأسف فالشعراء أيضاً يقطعون الأشجار من أجل قوت أطفالهم !.

وبعد هذا وذاك ، هل لنا أن نحلم ؟ والأحلام التي أعنيها بسيطة للغاية ، كأن يعاد الاعتبار لأشياء كثيرة أهملناها سنوات طويلة ، المساحات الخضر، الأشجار ، الطيور ، دجلة والفرات ، جبالنا الجميلة بطبيعتها ، الجسور ، الشوارع العريضة المريحة ، الأسواق ... وقبل كل ذلك الإنسان ، انساننا العراقي المعذب والتعب أيضاً ، فقد حان الوقت حقا لكي يشعر العراقي بمتعة العيش في وطنه بلا أزمات ولا خوف.

حين رأت القمر

عمار يحيى

ساعة:
تهرول الساعة أمامي..
في سباق مع الروح..
حتى اللانهاية...

الماضي:
التفت إلي الأمس..
ضحك باستهزاء..
ثم استدار
واستلقى مرة أخرى..
في أحضان قبره...

هروب:
استيقظت الشمس..
واستثارت
حين رأت القمر..
يهرب سريعا من مكانه
عادت للنوم غاضبة..
وتدثرت بالغيوم
حتى الأبد...

عين:
يرعب الذئب الماشية..
بنظرة.. لا يعرف هو معناها
هكذا ترعبني..
عين الساعة....

الحلم:
احلم بالحقيقة..
في بعض الأحيان..
والحلم يبقى حلما..
حين يتجسد في أمنية...

حقيقة:
حين امضغ الكلمات..
أتقيأ.. رغما عني
أشلاء الحقيقة.....

الزمن:
تتسارع دقات الزمن
وأنا معه..
تتسارع دقات قلبي....

مرآة:
نظرت إلى المرآة
كانت خالية..
إلاّ من ساعة متعطلة
تعلن عن الواحدة ظهرا....

سؤال:
سألت نفسي:
هل أنا الظل؟.. أم الظل أنا؟..
فأجابت:
كلاكما لستم أنا!...

وهم:
وأخيرا..
عثرت على مفتاح المستحيل
حاولت فتح بابه..
فوجدته مكسورا
منذ من طويل!....

الخبز:
رميت قطعة الخبز المحلى
في العراء..
عندما رفضت النداء
لدخول فمي.....

مركز كلاويز في السليمانية... واجهة للثقافة الكُردية

بشار عليوي

يُعد (مركز كلاويز الأدبي والثقافي) في مدينة السليمانية ، من المؤسسات الثقافية المهمة المعبرة عن الثقافة الكُردية الجديدة . حيث حرص المركز وعبرَ أنشطتهِ المتنوعة ، على ترصين المشهد الثقافي الكُردي عموماً من خلال استقطابه لمجموعة فاعلة ومتميزة من الادباء والمثقفين الكُرد ومشاركتهم ضمن فعاليات المركز ومهرجانهِ الثقافي الذي يُقام سنوياً .

تأسس مركز كلاويز في السليمانية عام ١٩٩٦ ولديه أربعة فروع في مدن شهرزور- كلار-كويسنجق- رانيه .

يُنظم المركز وعلى مدار السنة في جميع مدن كُردستان، العديد من الندوات والاماسي في مختلف محاور الثقافة والأدب والفكر ، للأدباء والمثقفين الكُرد . وللمركز ، هيئة أدارية تُدير شؤونه التنظيمية والثقافية ويقوم المركزَ بأصدار مجلة ثقافية شهرية باسم (كلاويز الجديد) باللغتين العربية والكُردية ، كما قام المركز بطباعة ونشر كُتب ودواوين لأدباء وشعراء كُرد وعشرات الكُتب في مجالات الشعر والقصة والدراسات التأريخية واللغوية والسياسية والأنثروبولوجية والاجتماعية ، وبعضاً منها مُترجم عن لغات الحية . ومن التقاليد الحية التي حرص المركز على أيجادها في الحياة الثقافية الكُردية ، هي (قلادة كلاويز للأبداع) التي تُهدى كُل عام لأحد المبدعين الكُرد من ألادباء أو الفنانين ممن أثروا الساحة الثقافية بعطائهم . وهناك نشاط يُقيمهُ المركز سنوياً ، هو (مهرجان كلاويز) الذي أقيمت منهُ أثنا عشر دورة ، وهو مهرجان ثقافي وأدبي يُقام لمدة أسبوع في كل عام ، مُتخمٌ بالنشاطات الأدبية من القراءات الشعرية والقصصية والدراسات الأدبية والتاريخية حيث يضيف المهرجان ، عشرات الأدباء من الشعراء والقصاصين والباحثين الكُرد والعرب من الداخل والخارج للمشاركة في فعاليات المهرجان ، ويشهد المهرجان إقامة معارض للكتاب تشارك فيها كبرى دور النشر العراقية والعربية ومن داخل كُردستان إضافة الى تنظيم معارض فنية لرموز الفن التشكيلي الكُردي . كما يشهد سنويا توزيع (جوائز كلاويز) بالنسبة للنصوص الأدبية المشاركة باللغة الكُردية في مجال القصة والشعر .